IJTHS
The International Journal of Tourism and Hospitality Studies, O6U

إعادة استخدام البيوت والقصور الإسلامية بالقاهرة كعامل جذب لزيادة الحركة السياحية في مصر

مصطفى محمود غازي غيث عمرو محمد علي علي جاويش

كلية السياحة والفنادق – جامعة 6 أكتوبر

جمهورية مصر العربية

معلومات المقالة

الكلمات المفتاحية:

البيـــوت؛ القصـــور؛ العصـــر الإسلامي؛ التنمية السياحية؛ إعادة الاستخدام

(IJTHS), O6U

المجلد 4، العدد 1، يناير 2023

ص 44 – 63

تاريخ الاستلام: 2022/10/7
تاريخ القبول: 2023/1/2
تاريخ النشر: 2023/1/20

الملخص

يمثل التراث المعماري للدول الأداة الرئيسية للتواصل بين الماضي والحاضر وتعزيز الهوية الوطنية والثقافية للشعوب، لذلك اتجهت عمليات المحافظة على المباني الأثرية والمناطق التراثية نحو الاهتمام بعمليات الترميم والصيانة، وذلك لإظهارها في صورة كيانات عمرانية مستقلة، الأمر الذي يضيف أعباء مالية كبيرة على ميزانية الدولة قد لا تستطيع تحملها، مما ينعكس سلبا علي عمليات الصيانة، وقد فطنت الدول المتقدمة إلى ضرورة استثمار المباني والمناطق الأثرية ليس فقط لزيادة حركة الجذب السياحي والثقافي إليها، ولكن لضمان مشاركة المواطنين في استعمالها لكى تصبح جزء من المجتمع وليس بناء أصما.

وإعادة توظيف المباني والمناطق الأثرية لا يساعد على تطويرها وإرجاع الحياة إليها فقط، ولكنه يؤثر على الكيانات العمرانية المجاورة لها، بل يمتد أثره إلى المناطق الأخرى، ويعتبر إعادة استخدام المبنى التراثي من أنسب الأساليب اقتصادياً للحفاظ عليه، إذ أنه يضمن توفير موارد اقتصادية ومادية يمكن الاعتماد عليها لاستمرار عمليات صيانة المبنى بشكل دائم، وهناك العديد من النماذج الناجحة محلياً وإقليمياً لإعادة استخدام البيوت والقصور الإسلامية الأثرية، والتي جعلت منها مراكز هامة للترويج السياحي والثقافي.

المقدمة

عند دراسة البيوت والقصور الإسلامية في مصر نلاحظ أنها استمرت في التطور حتى بلغت ذروتها في العصر العثماني، كما يتضح من البيوت الباقية من هذا العصر، وهنا يجب الإشارة إلى أن القاهرة تزخر بالعديد من البيوت والقصور الإسلامية الباقية من العصور الإسلامية المختلفة، والتي تمثل تراثاً معمارياً فريداً تتمتع به مدينة القاهرة.

نجد أن أفضل الوسائل للحفاظ على المبنى التاريخي وإطالة عمره هو إعادة تأهيله بتوفير وظيفة جديدة تضمن له البقاء والاستمرار مع الأخذ بعين الاعتبار عدم المساس بقيمته وخصوصيته التاريخية، وأن تكون تلك الوظيفة الجديدة منسجمة ومتفقة مع الطابع الحضاري للأثر، وتعتبر عملية إعادة التوظيف ذات أهمية كبيرة سواء كان ذلك بالنسبة للمبني الأثري ذاته أو بالنسبة للمحيط المدني والطابع العام للمدينة التي تحتويه.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى دراسة البيوت والقصور الإسلامية بالقاهرة، وذلك من خلال دراسة التخطيط المعماري لتلك العمائر ودراسة أهم العوامل المؤثرة على تطور التخطيط وتعدد أشكاله، ويناقش البحث إمكانية وضع خطة فاعلة لإعادة تأهيل وتوظيف تلك الآثار المعمارية بصورة تنسجم مع الواقع المعاصر والتحديات المستقبلية، لتكون عامل جذب للسياحة الداخلية والخارجية.

الدراسات السابقة

تتناول دراسة (متولي، 2006) بعنوان " أسس تصميم العمائر السكنية في القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني " الأسس المعمارية والفنية التي قامت عليها تصاميم العمائر السكنية خلال كلا من العصر المملوكي والعصر العثماني، كما تتناول دراسة (السيد، 2017) بعنوان " صيانة وإعادة استخدام المباني الأثرية وذات القيمة " الطرق المختلفة لصيانة المباني الأثرية والاستفادة من تلك المباني بعد إجراء عمليات الصيانة اللازمة لها، كذلك تتناول دراسة (أحمد، 2021) بعنوان " إعادة تأهيل وتوظيف الآثار المعمارية للحفاظ عليها من عوامل التلف" طرق إعادة توظيف الآثار المعمارية لتؤدي وظائف جديدة تنسجم مع الواقع المعاصر وتحقق التنمية الاقتصادية والثقافية.

مصطلحات البحث

البيت: لفظ البيت يأتي من الفعل الثلاثي بيت، ويعنى المسكن، والجمع بيوت، وجمع الجمع أبابيت، وإذا قيل بيت الرجل يكنى سكنة سواء كان داره أو قصره، كذلك يعني المنزل الذي يضم مجموعة من الأروقة والحجرات. (ابن منظور، 1993)

القصر: لفظ القصر هو اسم مكان يأتي من الفعل الثلاثي قصر، والجمع قصور، وهو البناء الواسع الفسيح المحكم، وأصل القصر المنع والحبس أي انه يمنع ما فيه عن عيون الأخرين، والقصر هو مكان سكن لأسرة غنية أو ذات وضع اجتماعي مرموق، ويشمل على العديد من صالات الاستقبال والأجنحة وغرف النوم، وقد يلحق باللفظ صفة توضح ما قبلها مثل القصر الأبلق. (مجمع اللغة العربية، 1980)

التراث المعماري: يتمثل في المباني ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية والاجتماعية بما فيها من زخارف وأثاث مرتبط بها، والتي تروي تاريخ المدن والشعوب نتيجة ارتباطها بأحداث أو أشخاص أو حقب تاريخية معينة. (النمرة، 2014)

إعادة الاستخدام: استخدام المبنى في وظيفة جديدة مشابهة للوظيفة القديمة دون الحاجة إلى تدخلات جوهرية في البناء المعماري لتلك المباني. (دهنة، 2013)

العوامل المؤثرة على تخطيط العمائر السكنية بالقاهرة

نجد أن جميع العمائر السكنية الإسلامية خضعت في تصميماتها المعمارية لجملة من العوامل، التي كان لها تأثير جوهري على تخطيطاتها المعمارية وحددت الشكل النهائي لمساقطها الأفقية (ياغي، 2008)، وهي:

- **العوامل الدينية**

جاء المسكن الإسلامي معبرا عن الشخصية المسلمة المرتبطة بالعديد من الأوامر والنواهي الفقهية التي نظمت علاقة الفرد والأسرة بالمجتمع، فكان تحقيق الخصوصية أول ما روعي عند تصميم المسقط الأفقي لجميع العمائر السكنية، فجاء هذا التصميم محتجبا عن الخارج بواجهات قليلة الفتحات ومنفتحا على الداخل حول فناء واسع مكشوف، وجعل الدخول لهذه المساكن عن طريق مداخل منكسرة يقع المدخل الرئيسي منها بالواجهة الرئيسية، كما زُودت بعض المساكن بأبواب فرعية تفتح على الحارات والدروب الفرعية، وكانت تؤدي إلى الفناء الثانوي وتستخدم لخروج ودخول الخدم. (مركز الدراسات المعمارية والتاريخية، 1990)

كان لهذا الاتجاه نحو الداخل في تصميم المسكن الإسلامي أثر مباشر في إيجاد عنصر الفناء الداخلي الذي أدى العديد من الوظائف لإيجاد متنفس لعناصر الدار الداخلية، فحول الفناء الداخلي كانت تنتظم عناصر المسكن بطوابقه التي وزعت فيها العناصر بأماكن تناسبت مع وظيفتها. (البسطويسي، 2006)

كما أحتوى الطابق الأرضي وأحيانا الطابق الأول على أماكن الاستقبال، وقد أهتم المعماري المسلم بأماكن الاستقبال هذه تمشيا مع الأوامر الدينية الداعية لحسن استقبال الضيوف وإكرام وفادتهم بالقدر الذي لا يقلل من ضرورات الستر والخصوصية التي دعا إليها الإسلام، فجاءت هذه الأماكن واسعة وجهزت من الداخل بشكل يحقق الراحة للزائرين، كما زودت بملحقات ومرافق لخدمتهم، وبنفس الوقت جعل الوصول إليها سهلا ومباشرا من أقرب نقطة من المدخل الرئيسي للمسكن عن طريق مداخل وسلالم خاصة تؤدي إليها. (ياغي، 2008)

كذلك كان لفرض الإسلام الاحتجاب على النساء أثره المباشر على التصميم حيث وجدت لهن أماكن خاصة، وجاءت هذه الأماكن غالبا بمستوى الطابق الثاني للمسكن، وتكونت من القاعات الصغيرة والأروقة والغرف وأماكن المبيت، وقد جُعل الوصول إلى هذه الأماكن أيضا عن طريق سلالم وممرات خاصة بعيدة عن أماكن الاستقبال، كل هذا دون أن يؤدى ذلك إلى الحجر على النساء. (ياغي، 2008)

كما عمل المعماري المسلم على إيجاد نظام اتصال حركي بين أجزاء المسكن وذلك عن طريق عمل ممرات بديلة متوارية تسمح للنساء بالتنقل بين طوابق المسكن دون الحاجة للمرور من الفناء المطل على أماكن الاستقبال عند وجود الغرباء، كذلك عمل بنفس الوقت على إيجاد اتصال بصري بين أماكن الاستقبال وباقي أجزاء المسكن، وذلك عن طريق المشربيات التي تفتح على الفناء الداخلي، فتسمح للنساء بمراقبة ما يجري بالمقعد وبقاعات الاستقبال دون أن تراهن أعين الضيوف. (وزيري، 2004)

كما راعي المعماري المسلم ان يكون نظام التهوية عن طريق استخدام أسلوب المشربيات الذي يعطي مبدأ الخصوصية للمنزل حيث يستطيع من بالداخل مشاهده من بالخارج دون أن يراه من بالخارج بيراعي مبدأ الخصوصية بالإضافة الي مبدأ التهوية ونجد هناك مشربيات بارتفاع دور كامل كواجهة بيت السحيمي الخلفية. (موسي، 1995)

- **العوامل المناخية**

أثرت العوامل المناخية بشدة في المسقط الأفقي للمسكن الإسلامي في مصر، حيث روعي بدقة عند تخطيط المسقط توجيه كامل المبنى ليكون اتجاه المحور الرئيسي للفناء الداخلي نحو الاتجاه البحري، وذلك بالشكل الذي يسمح للمبنى بتلقي الرياح الباردة اللطيفة التي تهب من هذا الاتجاه، وفى نفس الوقت يبنى بهذا المحور أحد أنواع المقاعد ذات الواجهة المفتوحة والتي تعتبر من أهم عناصر المسكن الإسلامي، وبذلك نجد أن العوامل المناخية تحكمت بالشكل النهائي للفناء. (ياغي، 1999)

نجد كذلك انه لنفس الغاية في معالجة العوامل المناخية نلاحظ أن المحور الطولي للقاعات جاء موازيا لاتجاه الفناء للزيادة في تلقيها للنسيم عن طريق الشخشيخة التي تعلو قاعاتها، ولنفس الهدف تم زيادة الفتحات الداخلية المطلة على الفناء، كذلك تم تقليل الفتحات المطلة على الخارج وعولج الموجود منها بتغطيته بالمشربيات التي قدمت معالجة مناخية رائعة كونها تمنع دخول أشعة الشمس وتسمح بنفاذ الهواء والضوء. (البسطويسي، 2006)

يلاحظ أن تأثير العاملين – الديني والمناخي – على الشكل النهائي للمسكن الإسلامي كان مباشرا مستمرا، فلم يتغيرا ولم يخضعا مثل غيرهما من العوامل الأخرى مثل: الإمكانيات المادية والمساحة المتاحة لأي تأثيرات مستجدة طوال العصور الإسلامية المتعاقبة، بل نجد استمرار تأثيرهم حتى نهاية العصر العثماني، فهما اللذان أنتجا جوهر المسكن الإسلامي ومضمون عمارته المميزة. (متولي، 2006)

العناصر المعمارية للبيوت والقصور الإسلامية في مصر

- **المدخل الرئيسي والمدخل المنكسر**

كان تخطيط المدخل للدور الإسلامية المبكرة على شكل خط منكسر يطلق علية الباشورة، وظهورها بهذه الطريقة لسبب اجتماعي بحت يتوافق مع التقاليد الشرقية والإسلامية، حيث يحجب من بداخل المنزل من الحريم عن أعين المتطفلين، ويعطى نوعا من الطمأنينة والاستقلالية للعائلة. (مركز الدراسات المعمارية والتاريخية، 1990)

خلال العصر المملوكي كان المدخل في الغالب يزخرف برنوك صاحب القصر وذلك للدلالة على وظيفته، وتتباين المداخل بين فتحات ذات عقود من الطراز المملوكي إلى مداخل ذات أسقف من المقرنصات المتتالية كالتي في مداخل الجوامع في ذلك العصر، وأستمر تصميم المدخل على نفس النهج خلال العصر العثماني. (السيد، 2018)

- **جناح المعيشة (الحرملك)**

يحتوي جناح المعيشة على عناصر الانتفاع وهي تتضمن (حجرات النوم وحجرات الطعام)، وكان تصميم أماكن المعيشة وعلى رأسها الأماكن الخاصة بالنساء، من أهم وأصعب الوحدات المعمارية في تنفيذها وفصلها عن أماكن الرجال وعن أعين الغرباء في أماكن الاستقبال، فكانت ذو حرمة جعلت منها الجزء الخاص في البيت، حيث كان لأجنحة الحريم مدخل خاص

يضمن للحريم التنقل والخروج من المنزل بدون أن تراهم أعين الزوار، وكان مستقلا تماما بكل ملحقاته ومرافقه عن باقي أجزاء الدار. (السيد، 2018)

ولم يكن لهذا الجزء شكل ثابت حيث كان يتكون من قاعة أو أكثر تقع في الأدوار العليا، وخصص للحرملك وممرات علوية تطل على الفناء عن طريق مشربيات تسمح للنساء بمتابعة ما يجري داخل المقعد والفناء الداخلي دون كشف ستر النساء، وفي بعض الأحيان – في القصور الضخمة – كان يخصص للجزء الخاص بالحريم وملحقاته فناء صغير مستقل ومدخل خاص أطلق عليه باب الحريم، وأطلق على هذه العناصر المعمارية في مجموعها لفظ الحرم، وتطورت فيما بعد في الدور التركية النموذجية وعرفت بلفظ الحرملك. (حلمي، 1968)

- **جناح الاستقبال (السلاملك)**

يتكون جناح الاستقبال من (المندرة والقاعة الرئيسية والمقعد والتختبوش والفناء الرئيسي)، وتقع أماكن الاستقبال في الطابق الأرضي في أغلب الأحوال حيث تكون قريبة من مدخل البيت وتبتعد عن أماكن الحريم، وأطلق على جناح الاستقبال فيما بعد خلال العصر العثماني لفظ السلاملك (حلمي، 1968)، وسوف نتناول عناصر جناح الاستقبال فيما يلي:

- **المندرة**

عبارة عن عنصر مستطيل في مسقطه الأفقي، وهو أحد أجزاء الاستقبال المخصصة للضيوف من الرجال، ويقع بالطابق الأرضي من البيت وله مدخل مباشر خاص من الفناء في الدور الأرضي، والنفاذ له عن طريق ممر يؤدى إليه باب مزخرف يطل على الفناء، وفي بعض الأحيان وجد للمندرة باب خارجي يطل على الشارع، وتخطيطه عبارة عن ايوانين جانبيين بينها درقاعة مربعة التخطيط في وسطها نافورة للمياه ومغطاه بالفسيفساء المتعدد الألوان. (متولي، 2006)

- **الرواق المستعرض ذو الإيوان (القاعة الرئيسية)**

يشكل الرواق المستعرض مع القاعتين الجانبيتين الملاصقتين للإيوان حرف T اللاتيني، وهو من ضمن التأثيرات المعمارية التي دخلت مصر مع الطراز الطولوني، حيث إنها من ضمن التأثيرات المعمارية العباسية، ثم انتقل هذا العنصر إلى دور الطولونيين في مصر ويعتبر الرواق المستعرض من ضمن التأثيرات الساسانية ثم العباسية. (حلمي، 1968)

كانت القاعة المملوكية استمرار لنموذج القاعات المغطاة الذي أشرنا له سابقا، ويتكون تخطيط القاعة الرئيسية المملوكية من درقاعة وسطي وإيوانات جانبية تفتح عليه مجمعة في قاعة واحدة مغطاة، مع اختلاف في التفاصيل والحجم بما يتناسب وظروف صاحب الدار سواء كانت ظروف اجتماعية أو مادية، وكانت النافورة الموجودة في وسط القاعة سمة من السمات التي تتميز بها بيوت الطبقة العليا خلال العصر المملوكي. (فييت، 2015)

أصبحت القاعة في العهد العثماني أصغر مساحة وارتفاعا عن مثيلاتها في العصر المملوكي، أما بالنسبة للتفاصيل المعمارية أو الجمالية فكان لها نصيب من الاختلاف، وكانت القاعة دائما من أكبر وحدات البيت العثماني إن لم تكن أكبرها، مما يسمح بإقامة الحفلات العائلية والسهرات الطويلة التي اعتادوا عليها في الأعياد والمواسم، ولم تكن وظيفة القاعة تنحصر فقط في الاحتفالات والأفراح فقط، ولكن أيضا في قراءة القرآن على الموتى وتعزية الناس لأهل الميت، وكذلك لإقامة سهرات دينية تقام في بعض البيوت كل يوم جمعة لإحياء ذكر الله وتلاوة القرآن. (دسوقي، 2006)

- **المقعد**

كان أحد مظاهر الوجاهة الاجتماعية خلال العصر المملوكي ضيافة الغرباء والتفاخر بإقامة الاحتفالات في البيوت، فصمموا المقعد للأوقات الصيفية حيث النسيم العليل، والقاعة الرئيسية لكبار الزوار والاحتفالات العظيمة. (حلمي، 1968)

نتيجة وجود الإمكانيات المادية وتوافر المساحات وخصوصا خلال العصر المملوكي البحري ظهر الميل إلى المبالغة في ضخامة العناصر المعمارية داخل الدار، وقد كان عنصر المقعد من أهم هذه العناصر التي ظهر بها هذا الاتجاه وأصبح المقعد مرآة حقيقية للدار، والمقعد في عمائر القاهرة السكنية في العصرين المملوكي والعثماني يعتبر من أهم أماكن استقبال الرجال في البيت الإسلامي، حيث ظهر بأنماط معمارية متباينة من حيث التصميم والشكل والموقع والوظيفة. (ياغي، 2004)

يقع المقعد دائما في الطابق الأول بالبيت، وهو عبارة عن مساحة مكشوفة تطل على الفناء عن طريق عقدين في الدور المتوسطة وأحيانا ثلاثة، وقد تصل إلى خمسة عقود في القصور الكبيرة، وكانت العقود على شكل حدوة الفرس ولها حجاب من خشب الخرط، وكان المقعد يستخدم لاستقبال الزائرين من الرجال، كما أستخدم كمكان لجلوس أفراد العائلة متمتعين بنسيم الهواء. (السيد، 2018)

كما راعي المصمم أن تكون واجهة المقعد في اتجاه الرياح لتلقي تيار الهواء البارد صيفا وله مدخله المستقل مباشرة من الفناء، بجانب ذلك فهو متصل بشكل غير مباشر بباقي وحدات الدار حيث القاعة والغرف والحرملك عن طريق الفناء، وكان ذلك التصميم يسمح لصاحب الدار بالوصول منه وإليه من أي مكان بالدار، كما يسهل على الزوار الوصول إليه مباشرة دون المرور بأنحاء البيت. (الجنيدي، 1976)

- **التختبوش**

نجد ان هذا العنصر من العناصر المستحدثة خلال العصر العثماني، ولم نجده في العمارة المملوكية ولا في العمارة التي سبقتها، ووجدناه فقط في بعض القصور والبيوت العثمانية وتحديدا اعتبارا من النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ويعد تختبوش بيت السحيمي هو أقدم النماذج الباقية للتختبوش في العصر العثماني (لوحة 1). (موسي، 1995)

قبل الحديث عن عنصر التختبوش لابد أن نتعرف عن المعنى اللغوي للكلمة، وهي كلمة من أصل فارسي تتكون من مقطعين، المقطع الأول (تخت) وهي تعني العرش أو السرير أو كل ما ارتفع عن الأرض للجلوس أو النوم وجوقة الموسيقي وخزانة الشباب، والمقطع الثاني (بوش) ويعني وجود أو تقدير أو كينونة. (رزق، 2000)

التختبوش عبارة عن فراغ استقبال بالدور الأرضي مثل المندرة في العصر المملوكي، ولكن مفتوح على الفناء بشكل مباشر، ويمكن اعتباره تطور معماري للمندرة، وهو عادة ما يواجه الاتجاه البحري، وكان مخصص لاستقبال الضيوف الذكور الذين لا يسمح لهم بالتعمق لمناطق أكثر حرمة داخل المنزل، كما أنه يماثل نظيره الموجود بمنازل الأناضول والذي عرف حينها بـ (الحياة). (السيد، 2018)

نجد أن التختبوش يتكون من مساحة مستطيلة تشرف على فناء المنزل بكامل اتساعها، وسقفه محمول على عمود في منتصف حافته الخارجية المطلة على الفناء الرئيسي، وترتفع أرضيته عن أرضيه الفناء بمقدار درجة أو أكثر وهي مفروشة

بالرخام الذي يكون أشكال هندسية بديعة، ويدور حول جدرانه الثلاثة الباقية أرائك من الخشب المفروش بوسائد وبسط لكي يجلس عليها زوار المنزل لحين نزول صاحب المنزل ويصحبهم إلى حيث المكان الذي يليق به في القاعة أو المقعد. (متولي، 2006)

كما كان التختبوش يقع بين الفناء الرئيسي والفناء الثانوي – الحديقة الخلفية –، الذي يطل عليه من خلال المشربية التي تقع في الجدار المواجه لفتحة مدخل التختبوش، وذلك لضمان تدفق الهواء بفعل تيارات الحمل بانتظام، وبهذا الحال ينتج نسيم معتدل البرودة، نتيجة تباين ضغط الهواء بين الفناء الرئيسي والفناء الثانوي. (أبو السعادات، 2017)

- **الفناء الرئيسي**

يكون الفناء مركزي في التصميم المعماري، ويمكن أن يحتوي الدار علي فناء أو أكثر، ويكون مسقطة الأفقي إما مربع أو مستطيل تتوسطه نافورة أو فسقية، يجرى إليها الماء لتلطيف جو الدار وعمل جو من السكينة والهدوء، كما كان يزرع حولها النباتات لإعطاء مدخل الدار منظرا جميلا وتوفير قدر من الظلال للحماية من أشعة الشمس، هذا بالإضافة إلى أنه يعتبر متنفس لأهل الدار دون المساس بالخصوصية، وتفتح علية معظم قاعات الدار، سواء قاعات الاستقبال أو قاعات الجلوس أو غرف وحواصل الدار، وقد اعتنى المعماري المسلم بتبليط الفناء ببلاطات مربعة من الآجر أو الحجر الجيري وأحيانا ببلاطات من الرخام. (عبد الحميد، 1986)

علي الرغم من صغر مساحة بعض الدور الإسلامية المبكرة، وعدم إمكانية عمل إيونات بها نتيجة لمساحتها، وكذلك عدم أمكانية تخصيص فناء مستقل لاستقبال الضيوف، فقد كان يخصص مكان للجلوس والاستقبال مكون من رواق صغير أو قاعات، وهذا العنصر على بساطته يمثل احتياج أساسي لساكني الدور بمصر، وكانت تستعمل الإيوانات المواجهة للرياح الشمالية الشرقية للجلوس، وفي حالة تعذر ذلك اكتفي بعمل مكان للجلوس في دخله غائرة بالجدار تطل على الفناء، وقد تطور هذا العنصر فيما بعد إلى المقعد الذي أشرنا له من قبل. (متولي، 2006)

نجد أنه خلال العصر المملوكي فقد الفناء جزء من وظيفته كعنصر استقبال رئيسي – عكس ما كان عليه خلال العصور السابقة – حيث انتقلت تلك الوظيفة إلى عناصر معمارية أخري مثل المقعد والقاعة والمندرة، والتي أصبحت تقوم بوظيفة الاستقبال على مختلف درجات الضيف، فالمقعد للأوقات الصيفية حيث النسيم العليل، والقاعة الرئيسية لكبار الزوار والاحتفالات العظيمة، والمندرة لاستقبال من هم أقل مكانة. (حلمي، 1968)

علي الرغم من أن الفناء فقد وظيفته كعنصر استقبال رئيسي إلا أن الاهتمام به لم يقل، ولكن على العكس تحول الفناء ليصبح واجهة الدار الرئيسية والتي يجب أن يظهر بها عظمة الدار وروعتها وبهائها، واستعمل في تصميم تلك الواجهات مختلف الأساليب الزخرفية والفنية والمعمارية، وأصبحت تطل على الفناء واجهة المقعد والمدخل والنوافذ المختلفة والمشربيات، فأكتسب جزء من أهميته في النموذج المملوكي والعثماني كعنصر زخرفي للدار. (متولي، 2006)

نجد كذلك خلال العصر المملوكي والعثماني أن القاهرة احتوت على العديد من الأفنية الحدائقية داخل القصور والمنازل، وبلغ اهتمام المعماري المسلم بتلك الأفنية الحدائقية أن بعض الأشجار والنخيل بها كان يغطي أحيانا برقائق من الذهب والفضة، كما كانت تحتوي بعض من تلك الأفنية على نافورات بديعة الصنع، فيعطي انعكاس الذهب والفضة على سطح الماء داخل تلك النافورات صورة للجنة الأرضية في خيال المسلم (جاويش، 2022)

نجد كذلك أن هناك فروق أساسية بين دور الفناء وحجمه بين القصر والبيوت الأبسط منها، حيث كان الفناء يقوم بالدور الرئيسي للاتصال بين أجزاء القصر المختلفة، حيث يمكن من خلاله الوصول إلى العناصر المعمارية المختلفة للقصر، أما في البيوت المتوسطة أو الصغيرة فإننا نجد أنها اعتمدت على نظام أتصال أخر وهو السلم الذي يربط عناصر البيت حتى وإن كان يلحق به فناء صغير. (حنا، 1993)

وجدير بالذكر أنه في أواخر العصر العثماني لم يكن ممكنا توفير المسطح الكافي لبناء البيوت ذات الفناء الداخلي، لذلك ظهر ما يسمي بفناء المنور بدلا من الفناء المفتوح كعنصر للتهوية والإضاءة، وقد تم توجيه المنور كذلك للاتجاه البحري وفي هذه الحالة كان المنور يعمل بمثابة ملقف للتهوية، وبالطبع كلما ازداد مسطح المنور أصبح أقرب إلى الفناء الداخلي، فالبيت ذو الدورين أو الأدوار الثلاثة الذي له منور بمسطح 4 × 5م يمكن أن يكون شكله أقرب إلى طبيعة الفناء المفتوح، ولكن يكون في الواقع له استعمال ووظيفة تختلف عن وظيفة الفناء، حيث كان أقرب في الوظيفة إلي ملاقف الهواء. (سعيد، 2009)

تقييم الوضع الحالي للمنشأت الأثرية بالقاهرة

تتمتع مدينة القاهرة بالعديد من الأشكال المختلفة من التراث المعماري والثقافي، وقد ظلت القاهرة شامخه أبيه حتى الآن وتحظى بالجذب السياحي نتيجة تنوع المنشأت الأثرية القائمة بها من مختلف العصور، وتنقسم المباني الأثرية الى نوعين، أولهما المباني الأثرية التراثية، أما الثاني فهو المباني التاريخية وهذا التقسيم شائع في معظم البلدان، فالأول يعبر عن قيمه فنيه، والثاني شهد حدث قومي هام وقد لا يحوي قيمه فنيه ترقى لمرتبه الأثر المعماري. (عكاشة، 1981)

تتلخص الأهمية التراثية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية للقاهرة في التالي:

- **الأهمية الثقافية**

تضم مدينة القاهرة مجموعات بنائيه اثريه تعتبر أعمالا فنيه ذات قيمة جمالية كبيرة تشكل تراثا فنيا وحضاريا للبشرية، هذا التراث البشري يعود بالمتعة الجمالية ويقدم أفكارا تخطيطية ومعماريه تفيد في تطوير المدن الحديثة، فالناظر الى مدينة القاهرة يجد فيها تكوين طبيعي مترابط من عناصر تشكيليه ومعمارية تتشابه في مضمونها، وتعطي شوارعها شخصية موحده تميزها عن غيرها من المدن العتيقة. (جاويش، 2022)

- **الأهمية الاجتماعية**

إن التوازن الحضاري بين الماضي والحاضر والقيم الاجتماعية المتأصلة نشعر به في مدينة القاهرة بكل التلقائية والبساطة والصدق، كما ان التكامل الاجتماعي بين الطبقات المختلفة المكونة لتجمعات المدينة وتداخلاتها الطبيعية يعد العامل الأساسي الذي يحقق التوازن والارتباط والاندماج الطبيعي بين السكان والمكان، ويرسخ مفاهيم الهوية والانتماء لدى الأجيال المتعاقبة. (السيد، 2017)

- **الأهمية الاقتصادية**

ترجع الأهمية الاقتصادية لمدينة القاهرة أنها العاصمة الإدارية لمصر التي تشكل مركزاً للجذب السياحي على قدر كبير من الأهمية، مما يستوجب محاوله استثمار هذه الأهمية بالشكل الأمثل الذي يليق بعظمة تلك المدينة العريقة، ويوصي بعض المتخصصين الى ضرورة استغلال القاهرة التاريخية سياحيا، بحيث لا يكون الهدف فقط تحويلها الى متحف مفتوح، ولكن يجب

ان يكون الهدف الأساسي هو إحياء المدينة التاريخية لتمارس وظائفها الحياتية المتكاملة بشكل طبيعي، وان يكون سكانها هم المستهدف الأول بعمليات التطوير والتحديث. (مرسي، 2008)

حيث تنتشر الآثار الإسلامية بين أحياء القاهرة القديمة مثل الفسطاط ومصر القديمة والقلعة والخليفة والدرب الأحمر وباب الوزير والخيامية وشارع المعز والدرب الأصفر والجمالية، وتندس بين أزقتها وحواريها كجزء من النسيج العمراني لتلك الأحياء، ونظرا لالتصاقها الشديد بالأهالي فقد تسللت بمرور الوقت إلى ضمائرهم وسكنت وجدانهم وصارت جزءا من حياتهم. (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، 2002)

عند إلقاء الضوء على عدد الآثار الإسلامية المسجلة في مصر نجد أنه يبلغ 774 أثر، وتحظي القاهرة بالعدد الأكبر منها لكونها العاصمة الإسلامية لفترات متعددة ومتعاقبة حيث يتوافر بها حوالي 70% من الآثار الإسلامية في مصر بعدد 537 أثر إسلامي مسجل وذلك بخلاف الآثار المندثرة والغير مسجلة، ويبلغ عدد البيوت والقصور الإسلامية بمدينة القاهرة 63 وهي نسبه كبيرة يمكن إعادة استخدامها واستغلالها سياحياً وثقافياً. (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، 2002)

مجهودات مصر في حفظ وصيانة الآثار

تعد سياسة الحفاظ على الآثر وصيانته هي حجر الأساس للنهوض بالمكان وتطويره سياحيا فهو لا يعتبر العامل الوحيد، ولكنه الأساسي حيث يمكن من خلاله عرض السلعة السياحية بشكل لائق وجذاب، وعند النظر الى أعمال حفظ وصيانة الآثار نجد ان ذلك من المجالات الحديثة نسبيا، فلم تتبلور سوى في بدايات عصر النهضة بأوروبا مع نمو تيار العناية بالعلوم والمعارف وتقديس التراث الكلاسيكي والعمل على بعثه وتقليده. (عكاشة، 1981)

أما في مصر فيرجع الاهتمام بالآثار الى القرن التاسع عشر حين صدر في عام ١٨٥٨م قرار بتجميع الآثار المصرية وتخصيص مبني لها في بولاق، ثم صدر قانون عام ١٨٨١ميلاديا بتشكيل لجنه حفظ الآثار العربية، وفي عام ١٩١٢م صدر القانون رقم 14 الخاص بالآثار المصرية، وفى عام 1974م انضمت مصر الي اتفاقيه التراث العالمي، ثم صدر القانون رقم ١١٧ في عام 1983م لحماية الآثار، وأخيرا صدر القانون 91 لسنة 2018 لحماية الآثار، وهكذا تتابعت في مصر مجهودات صون آثارها وهي تعد من الدول الرائدة في ذلك. (مرسي، 2008)

إذا أمعنا النظر في مدينة القاهرة حاليا نجد ان غالبية أثارها تنتشر بين الشوارع العتيقة والأزقة والحارات الضيقة، وتكتظ هذه الشوارع والحارات بالمساكن الفقيرة والمحلات المأهولة بالسكان من طبقات معدمه، وهم يمارسون حياتهم بداخل هذه الآثار دون مراعاة لحرمتها، وما يقومون به من سلوكيات قد تكون بعضها سلبية على الأثر، ودائما نجد مشكله واضحة وهي عدم وعي السكان المقيمين حول الأثر، فحين يتم ترميم الأثر كان ذلك يحدث دون الالتفات الى السكان حوله، وبذلك تم استبعاد من لهم أقوى تأثير على الأثر، وبالتالي بعد ترميم الأثر يكون رد فعل الأهالي لذلك سلبيا للغاية مما يؤثر على مفهوم الاستدامة في حفظ وصيانة الأثر. (أحمد، 2021)

أهم المشكلات التي تتعرض لها مدينة القاهرة كمنطقة تراثية

تنوعت المشكلات التي تواجه مدينة القاهرة، واتخذت صوراً عديدة ما بين مشكلات بيئية وعمرانية وبشرية، مما يؤثر بصورة كبيرة على تنمية المدينة واستغلالها سياحيا وثقافيا.

- **المشكلات البيئية**

تتمثل في العوامل المناخية المختلفة التي تتعرض لها الآثار مثل تأثير الشمس واختلاف درجات الحرارة والرطوبة وهي ذات تأثير مدمر على الآثار إذا لم تتم أعمال الصيانة على أسس علميه سليمه، وهناك بعض العوامل الطبيعية مثل تأثير الزلازل والمياه الجوفية، فزلزال ١٩٩٢م دمر العديد من الآثار الهامة وأصاب التصدع والشروخ المتبقي منها، ولا نغفل عوامل التلوث بفعل الأنشطة الصناعية وعوادم السيارات والاهتزازات الناشئة عن حركة المرور. (جاويش، 2022)

- **المشكلات العمرانية**

تتمثل في اختلاف الأنماط المعمارية واستخدام طرز غريبة تعتمد على الذوق الشخصي ولا تعتمد على التكامل مع الطرز الأثرية المحيطة، حيث يوجد العديد من المباني الحديثة العالية التي تحدث تغير في الشخصية المميزة للمناطق التاريخية، كما يوجد واجهات لمباني جديده بدون تشطيب خارجي مما يشوه الصورة البصرية العامة، بالإضافة إلى وجود أنشطه تجاريه لسلع غير مناسبه في المناطق التاريخية. (مرسي، 2008)

- **المشكلات البشرية**

منها المشكلة الاقتصادية وتتمثل في ضعف العائد المادي للآثار، ومنها المشكلة التشريعية وتتمثل في تعدد جهات الأشراف على الآثار وضعف قدرتها الرقابية، وتتمثل المشكلات الاجتماعية في قله الوعي بقيمه المباني والمناطق التراثية لدى الغالبية، والتي تظهر آثارها في التعدي وسوء استخدام المباني الأثرية وأحداث تغيرات وإزاله وهدم وسرقه وإدخال أنشطه صناعيه وتجاريه ذات تأثير سيء على الآثار. (السيد، 2017)

شروط إعادة استخدام وتوظيف المباني الأثرية

تتضمن عملية إعادة استخدام المبنى التاريخي مجموعة من المعايير التي تساهم بكفاءة في تحديد نوع الاستخدام الأفضل لمثل هذه المباني، والذي يستوجب عدم التأثير سلباً على القيمة المعمارية والتراثية كما يعمل على ضمان استمرار أداؤه لأطول فترة ممكنة كما يلي (أحمد، 2021):

1- يجب أن تكون الوظيفة الجديدة منسجمة مع التكوين المعماري للمبنى ومع الطابع المعماري والحضاري للمدينة وأن تكون المنطقة المحيطة بالمبنى الأثري في حاجة لهذه الوظيفة. (أبراهيم، 2003)

2 – أن يكون اختيار الوظيفة الجديدة للمبنى قائما على ما تمثله هذه الوظيفة من عائد اجتماعي أو ثقافي أو اقتصادي، حتى يصبح المبنى الأثري منتجا للموارد المالية التي تضمن الحفاظ على صيانته وتحقق أكبر نفع مادي ومعنوي.

3- ان يكون أعادة استخدام المبني ناتج عن دراسة وتحليل عدد من العناصر مثل ملائمة أشكال وأحجام الفراغات الداخلية أشكال وأحجام الفراغات المطلوبة لتحقيق عناصر التوظيف الجديد، بحيث تستوعب إمكانيات المبني التاريخي متطلبات العناصر الوظيفية والثقافية والأمنية الخاصة بالاستخدام المستحدث، وقد يتطلب ذلك إضافة عناصر جديدة على المبني بشرط ألا تكون مشوهة له ولعناصره الفنية. (عبد الدايم، 2001)

4- يجب اختيار أنسب أنماط الأثاث اللازمة للاستخدام، بحيث تظهر مستمدة من الملامح الفنية للأساسات الموجودة بالمبنى أو المتواجدة في نفس العصر الذي بني فيه.

5- ينبغي للمبنى الأثري عند اختيار وظيفته الجديدة أن يكون حجم مردود هذه الوظيفة مرتبطا بموقع الأثر بالمدينة، أي كلما كانت الوظيفة أكثر جماهيرية كلما كان المبني الأثري المؤدي لتلك الوظيفة أكثر قربا من الشوارع الرئيسية.

6- ينبغي أن تكون الوظيفة الجديدة للمبني تتوافق مع القيم الخاصة بالمجتمع المحيط وخاصة القيم الدينية، وأن يتلاءم هذا الاستخدام مع الرغبة الجماهيرية للمجتمع المحيط بالمبني. (السيد، 2017)

7- يجب عمل دراسة مقارنة بين تكاليف الصيانة وإعادة الاستخدام والعائد المادي المتوقع، وغالبا يكون العائد المادي من الاستخدام الثقافي للمباني الأثرية – وهو الاستخدام الأمثل في حالة البيوت والقصور الأثرية – أقل من تكاليف إعادة الاستخدام وفي هذه الحالة يجب توفير مصدر تمويل خارجي لضمان استمرار عملية إعادة الاستخدام. (محمد، 2006)

اقترحات إعادة الاستخدام للبيوت والقصور الإسلامية

تعتبر البيوت والقصور الإسلامية الأثرية ثروة قومية وموارد سهلة الاستثمار والاستغلال الاقتصادي والسياحي مما يزيد من قيمتها التاريخية، ومن خلال إعادة الاستخدام يمكن تغطية تكاليف صيانة المبنى والحفاظ عليه، بالإضافة إلى العائد المادي المنتظر والعائد الثقافي والسياحي الناتج عن الترويج للمبني. (احمد، 2021)

يمكن إيجاز أهم الوظائف المقترحة لإعادة الاستخدام الثقافي والسياحي فيما يلي:

- **توظيف البيوت والقصور الإسلامية كمتاحف وطنية**

تعتبر البيوت والقصور الإسلامية من أفضل أماكن العرض المتحفي، سواء كان ذلك على مستوى الأفراد الذين تتوافر لديهم هواية جمع المقتنيات الأثرية، أو على مستوى الوزارات والهيئات الحكومية المسؤولة عن حفظ وصيانة التراث بأنواعه مثل متحف بيت الكريتلية، متحف قصر الأمير عمرو إبراهيم بالزمالك والمتحف الحربي بالقلعة (قصر الحرم).

- **توظيف البيوت والقصور الإسلامية كمكتبات عامة**

يمكن استخدام القصور والبيوت الإسلامية كمكتبات عامة ذات طابع تراثي وأثري، ويمكن استغلال مساحة القصر لإقامة ندوات وفاعليات، وبهذا يمكن أن يصبح القصر مركز ثقافي متكامل، وذلك مثل مكتبة القاهرة الكبرى التي تشغل قصر الأميرة سميحة كامل بالزمالك.

- **توظيف البيوت والقصور الإسلامية كأماكن للحرف التراثية**

يرتبط غالبية الحرفيين العاملين في صناعة المنتجات التقليدية والتراثية بأنواعها بممارسة أعمالهم بالقرب من مواقع التراث، مما يضيف إلى قيمة منتجهم عبقاً تراثياً مع رائحة المكان الذي يرتاده الزائرون، ويمكن استغلال البيوت الإسلامية كمراكز لممارسة تلك الحرف وعرض المنتجات أو كمراكز لتعليم الحرف التراثية مثل الورش التي يعقدها صندوق التنمية الثقافية التابع لوزارة الثقافة ببيت السناري بمنطقة السيدة زينب.

- **توظيف البيوت والقصور الإسلامية كمراكز ثقافية وفنية**

يمكن توظيف البيوت والقصور الإسلامية كمكتبات عامة ذات طابع تراثي ومراكز للندوات والمحاضرات الثقافية ومعارض للفنون الجميلة ومراكز للفنون التطبيقية والتشكيلية وغيرها ويتم ذلك حاليا في بيت السحيمي وبيت السناري وقصر الأمير طاز وقصر الأمير بشتاك.

- **توظيف البيوت والقصور الإسلامية كمعامل للرسم**

يقوم غالبية الفنانين التشكيليين بممارسة أنشطتهم الفنية في المواقع الأثرية، وينعكس ذلك على أعمالهم فتحتوي على الكثير من العناصر التقليدية التي تتكون منها، ويمكن استغلال البيوت الإسلامية في ذلك نظراً لأنها تحتوي على العديد من العناصر المعمارية والزخرفية كالمشربيات والقمريات والمقاعد والواجهات ذات الزخارف الهندسية والنباتية والأسقف الخشبية البديعة.

- **توظيف البيوت والقصور الإسلامية كمراكز إدارية واستشارية**

يمكن استخدام البيوت الإسلامية كمراكز إدارية للمناطق الأثرية، كذلك يمكن استخدامها كمراكز استشارية لسكان المدينة القديمة لتقديم المشورة في القواعد التي يجب إتباعها في بناء المنازل ذات الملكية الخاصة داخل حرم المناطق التراثية، والإشراف على ذلك ومتابعه.

نماذج لإعادة استخدام البيوت والقصور الإسلامية في مصر

متحف محمود خليل

كان مبنى سكني لمحمود خليل وزوجته (لوحة 2)، إلا أنه تنفيذا لوصية زوجته تحول هذا القصر في يوم 23 يوليو عام 1962م إلى متحف يحمل اسمه واسم زوجته، وفي عام 1971م استخدم كمقر تابع لرئاسة الجمهورية وظل كذلك طوال فترة حكم الرئيس الراحل أنور السادات وتم نقل المتحف ومحتوياته إلى مركز الجزيرة للفنون بالزمالك، ثم حدث أن أغلق القصر بعد وفاة الرئيس السادات ثم أعيد افتتاحه بشكله الجديد (لوحة 3) بعد نقل محتوياته مرة أخرى لمكانها الأصلي في شهر أكتوبر عام 1995م، وتم إضافة بعض الخدمات في مباني ملحقة بالمبنى. (الأدهمي 2001 م)

قصر الأمير طاز

يقع قصر الأمير طاز بمنطقة الخليفة وأنشأ هذا القص الأمير سيف الدين عبد الله طاز أحد أمراء المماليك البحرية البارزين وذلك عام 753هـ – 1352م، وقد كان القصر مقراً لنزول الباشوات المعزولين عن حكم مصر في القرن 17 (المقريزي، 1998)، وفي عهد الخديوي إسماعيل تم تحويله إلى مدرسة، ولكن لم تمض سوى عشرات السنين وأخلت وزارة التربية والتعليم القصر لتحويله إلى مخزن للكتب الدراسية (لوحة 4)، وأستمر على هذا الحال حتى ترميمه. (القاهرة التاريخية، د.ت)

والقصر الآن (لوحة 5) مركز للإبداع ويعتبر مقصد الكثير من الأجانب والعرب والمصريين في الكثير من المناسبات، حيث يقام عدد متنوع ومميز من الحفلات التراثية من أشهرها حفل المولوية المصرية، كما يقيم العديد من الحفلات للاحتفاء بالموسيقى العربية، إلى جانب ورش العمل للأطفال كالرسم والغناء والنحت وبعض الندوات، ويتميز القصر بشكله المعماري الجذاب. (القاهرة التاريخية، د.ت)

بيت الكريتلية

بيت الكريتلية أو متحف جاير أندرسون يتكون من بيتين هما بيت محمد بن الحاج سالم وبيت السيدة زنوبة الكريدلية قبل أن يدمجا في بيت واحد في ثلاثينيات القرن الماضي وتم الربط بينهما بقنطرة، ويعد من أكبر المنازل التاريخية في مصر وهو من الآثار الإسلامية النادرة وتنتمي إلى العصر المملوكي والعثماني، وقد ساءت حالة البيتين على مر السنين وكاد أن يتم هدمهما أثناء مشروع التوسع حول جامع أحمد ابن طولون في ثلاثينيات القرن الماضي (1930م –1935م)، فسارعت لجنة حفظ الآثار العربية بترميم البيت ليصبح من أروع الأمثلة القائمة علي طراز العمارة الإسلامية. (رفعت، 1995)

في عام 1942م أطلق على البيت اسم (متحف جاير أندرسون) ويعد متحف جاير أندرسون من أهم المتاحف أو البيوت الإسلامية التي بنيت في العصر المملوكي (لوحة 6) وينفرد بيت الكريتلية أو متحف أندرسون بخصوصية معمارية لوجود سمات نادرة الوجود في العمارة الإسلامية في ذلك الوقت منها وجود" سبيل لسقاية الناس داخل البيت وليس بداخل مسجد أو جامع هو معتاد في العمارة الإسلامية. (مركز الدراسات المعمارية والتاريخية، 1990)

ويعتبر البيت حاليا متحف يحتوي على العديد من الآثار من مختلف الحقب التي مرت على مصر، كما يحتوي على العديد من نماذج الأثاث الإسلامي (لوحة 7)، كذلك تم استخدام البيت لتصوير عدد من الأفلام والمسلسلات مثل الحرافيش وبين القصرين ومسلسل الأمام الغزالي.

بيت زينب خاتون

يجمع بيت زينب خاتون بين فنون العمارة المملوكية والعثمانية، وظل هذا المنزل يتوارثه أهم الأشخاص الحاكمين في البلاد مروراً بمراحل الاحتلال كاملة، وفي عام 1981م أغلق المنزل بعد تعرضه لتشققات خطيرة، وجاء مشروع ترميم المنزل في إطار خطة قطاع الآثار الإسلامية والقبطية بالمجلس الأعلى للآثار لتعيد للمنزل جماله كما كان وقت إنشائه (لوحة 8). (عسكر، 2002)

حالياً يمثل بيت زينب خاتون واحد من أهم الأماكن السياحية الثقافية بالقاهرة القديمة، حيث الأمسيات الرمضانية ذات الطابع المصري أصبحت الساحة موقعاً يقصده الناس في رمضان بكثرة ليستمتعوا بعبق الماضي في هذا المكان الأثري (لوحة 9)، وطوال العام يجتمع فيه طلاب الجامعات لإقامة أعياد الميلاد والمناسبات السعيدة، كذلك فتح البيت أبوابه للنشاطات الثقافية والفنية، فضلا عن استقبال عدد كبير من السائحين ومحبي الآثار الإسلامية من كل أنحاء العالم. (احمد، 2021)

بيت الست وسيلة

أنشأ هذا المنزل كما هو مثبت بالنص التأسيسي بإزار المقعد الصيفي الحاج عبد الحق وشقيقه لطفي أولاد الحاج محمد الكناني سنة 1664م، وينسب الى الست وسيلة آخر من امتلكته وسكنته، وقد تم ترميم المنزل ضمن مشروع القاهرة التاريخية، وتم إعادة تطويره (لوحة 10) بعد ان تحول الي وكر ومخزن لتجار المخدرات لوقوعه داخل منطقة الباطنية. (القاهرة التاريخية، 2005)

وقد خصصت وزارة الثقافة هذا المنزل ليكون مقراً لبيت الشعر العربي ضمن مراكز الإبداع التابعة لصندوق التنمية الثقافية، يقدم من خلاله عديد من الفعاليات الثقافية والأدبية، وهذه الفاعليات تجتذب العديد من الزوار سواء من السائحين العرب أو المصريين المهتمين بالشعر العربي.

قصر الأمير بشتاك

بناه الأمير سيف الدين بشتاك الناصري بين أعوام 1334 – 1339م في حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وكان من أعظم مباني القاهرة في وقتها، عاني قصر بشتاك لسنوات طويلة من الإهمال وعدم إجراءات أعمال ترميم له إلى أن تدخل مشروع تطوير القاهرة التاريخية وقام بعمل ترميم شامل للقصر بداية من عام 2003 وانتهى في عام 2007م (لوحة 11)، وقام وزير الثقافة بإصدار القرار رقم 510 لسنة 2009 بتخصيص قصر الأمير بشتاك بشارع المعز ليكون مقراً لبيت الغناء العربي كأحد مراكز الإبداع الفني التابعة لصندوق التنمية الثقافية، ويقام بالقصر حاليا العديد من الأمسيات والحفلات (لوحة 12) التي تجذب العديد من السائحين من مختلف الجنسيات. (عسكر، 2002)

نماذج إقليمية لإعادة استخدام البيوت والقصور

بيت الشيخ سعيد آل مكتوم

يقع بيت الشيخ سعيد آل مكتوم بدبي – الأمارات العربية المتحدة (لوحة 13)، وهذا البيت يرجع الي الشيخ سعيد آل مكتوم جد الحاكم الحالي لإمارة دبي، ويتميز هذا البيت بتنوع عناصره المعمارية والفنية المختلفة، حيث تم بناء هذا البيت من المرجان المغطى بالجير والرمال، وفي عام 1996 تم ترميم البيت علي يد إدارة ترميم المباني التاريخية بدبي، وتم إعادة استخدام البيت ليصبح متحفا وطنيا توثيقيا لتاريخ دولة الأمارات بشكل عام وإمارة دبي بشكل خاص. (عتمة، 2007)

بيت آجق باش

يرجع تاريخ بناء البيت إلى عام 1758 في العهد العثماني، ويوجد في مدينة حلب بسوريا (لوحة 14)، شيده تاجر سوري يسمي قرة على ثم اشتراه تاجر تركي يسمي أجق باش وسمي البيت علي أسمه، وأشتهر بفنائه الخارجي المزين بزخرفات من العصر المملوكي، تم تحويل البيت إلى متحف في عام 1973 بعد ترميمه، ظل المنزل متحفاً تقليدياً شعبياً للفن في حلب بزخرفاته الجميلة والأعمال الفنية المحلية القديمة التي توجد بين جدرانه، وتعرض البناء لتهدم كبير وكارثي بسبب المنازعات التي كانت تحدث في الشوارع بسبب الحرب الأهلية في سوريا. (زين العابدين، 2010)

النتائج

- ينبغي إعادة استخدام المباني السكنية التقليدية بشكل يحقق أكبر فائدة للمدينة وسكانها، وبما يعزز القيمة التاريخية والتراثية للنسيج ككل، وتوظيفها بالاستخدامات المناسبة.
- إعادة استخدام البيوت والقصور الإسلامية سياحياً وثقافياً من أنسب الطرق للحفاظ عليها، حيث يوفر ذلك عائد اقتصادي يمكن الاعتماد عليه في تمويل عمليات الترميم والصيانة.
- إعادة استخدام البيوت والقصور الإسلامية كمراكز للحرف والصناعات اليدوية يمكن أن يكون وسيلة هامة لإعادة إحياء تلك الصناعات، وتوفير مراكز لتلك الحرف يمكن التسويق لها دولياً بالاعتماد على قيمة الأثر.
- توظيف البيوت والقصور الإسلامية في الأغراض السياحية والفنية يسهم في تطوير الحياة الثقافية والفنية، والحفاظ على التراث، كما يساعد في الترويج السياحي.
- إعادة استخدام البيوت والقصور الإسلامية والتاريخية في أغراض تخدم المجتمع المحيط وتحقق النفع المادي له، يؤدي إلى اهتمام المجتمع بتلك المشاريع والمساعدة في الحفاظ عليها.
- الاستفادة من شهرة المبني وتاريخه في عمليات الترويج الثقافي والسياحي، يمكن أن يؤدي إلى رفع العائد المادي والثقافي من خلال زيادة عدد الزيارات للمبني.
- الاستفادة من المعالجات المعمارية المناخية المستخدمة في تصميم البيوت والقصور الإسلامية، وما توفره تلك المعالجات من وسائل إضاءة وتهوية يمكن أن يقلل من تكاليف تشغيل المبني، ويحقق عائد مادي جيد.
- نجد ان العديد من البيوت والقصور الإسلامية غير مستغلة وتعاني من الإهمال والتعديات، ويمكن استغلال هذه البيوت سياحيا وثقافيا بالاستعانة بالنماذج الناجحة لإعادة الاستخدام.
- العجز الحاد في الموارد الحكومية بالإضافة الي العوامل الاجتماعية والبيئية والمناخية، تؤدي الي فقدان وتدمير العديد من البيوت والقصور الإسلامية بالقاهرة.
- العنصر البشري يلعب دوراً كبيرا في تدمير البيوت والقصور الإسلامية بالقاهرة، وذلك نتيجة تدني الوعي الثقافي والأثري.

التوصيات

- يجب العمل على إنشاء قاعدة بيانات إلكترونية تضم جميع المباني الأثرية بالقاهرة، وتبين الأنشطة الثقافية والسياحية التي تتم داخل الأثر للتسهيل على السائحين.
- تشكيل هيئة استشارية تضم أساتذة الجامعات وخبراء الأثار والترميم، لتحديد أنسب الطرق لصيانة وترميم البيوت والقصور الإسلامية، ولتحديد الوظائف الملائمة لإعادة استخدام المباني الأثرية.
- تضمين مقرر التراث ضمن المناهج الدراسية لطلبة المدارس والجامعات، لزيادة الوعي الثقافي والأثري للشباب.
- يجب العمل على صبغ المباني المستحدثة بالصبغة التراثية بالمناطق الأثرية بالقاهرة بفكر معماري يليق بهوية هذه المناطق.
- مما لا شك فيه ان معظم الآثار بالقاهرة محاطة بمباني حديثة، فنقترح أن ما يتم هدمه من تلك المباني لا يعاد بناؤه، ويتخذ كحرم للأثار ويستغل كمساحه خضراء.
- يجب منع مرور السيارات بالمناطق الأثرية، ويمكن تغذية المحلات التجارية في تلك المناطق بالبضائع عن طريق عربات يد، دون أحداث اختناق مروري كما يحدث في هذه الأيام في شارع المعز ومنطقة الجمالية على سبيل المثال.
- يجب عمل دورات مياه عامه على اعلى مستوى في المناطق الأثرية بالقاهرة فذلك هو مقياس البلد السياحي المتقدم، ويتم تنفيذها باستخدام واجهات حجريه لتلائم طبيعة المنطقة.
- ضرورة الاهتمام بوضع مسارات تسهل الوصول الى الأثر في المناطق الأثرية، بالإضافة إلى عمل منطقة انتظار للحافلات السياحية بالقرب من المنطقة الأثرية.
- انتشار أفراد الأمن في المناطق الأثرية بملابس الجند في العصر الإسلامي، مما يتناسب مع الطبيعة التراثية لتلك المناطق.
- اقترح وجود نقاط منتشرة في الأحياء الأثرية على شكل غرف ذات طابع معماري إسلامي، يكون بها وحدة معلومات يلجأ لها السائح لأخذ بعض البيانات عن المنطقة.
- نقترح عمل فكرة الصوت والضوء بفناء المباني الأثرية للتعرف على تاريخ الأثر والمنطقة، على ان يتم ذلك داخل أكبر الأفنية مساحة لتوفير إمكانية للعرض بصورة أفضل ولاستيعاب عدد كبير من المشاهدين.
- استغلال الأثر من الداخل وذلك بعمل عرض متحفي مبسط بفناء الأثر يبرز مقتنيات فنية من الفترة الإسلامية التي يمثلها الأثر، فمثلا يستخدم فناء المدرسة الكاملية لعرض مقتنيات ومنسوجات تخص الفترة الأيوبية، وفناء بيت السحيمي لعرض أواني وتحف عثمانية، على أن تؤخذ هذه القطع من مخازن الآثار وتؤمن.
- العمل على إنشاء مناطق على نسق القرية الفرعونية على أعلى مستوى تصميم بالطراز المعماري الإسلامي.
- يتم عمل فنادق تراثية بالقاهرة بحيث يكون تصميمها يحتوي على المقعد الصيفي والتختبوش في الفناء الداخلي وقاعات استقبال وقاعات للاحتفالات وحمام ملحق على الطراز الإسلامي، ويتم الاستفادة من الفناء في توفير المعالجات الطبيعية والمناخية للإضاءة والتهوية للاستغناء عن وسائل الإضاءة الحديثة ووسائل التهوية مثل التكيفات، كذلك لا يتم عزف أي موسيقى سوي موسيقى التخت الشرقي القديم فقط، ويكون العاملين به يرتدون أزياء تمثل العصور الإسلامية التي شهدتها مصر.
- يجب تشجيع أهل الأحياء التراثية بالقاهرة على عرض العادات الشعبية مثل زفة العروس بالطبل والمزمار وحمل فوانيس رمضان واحتفالات شم النسيم والعيد أمام زوار المنطقة من السائحين كنوع من التراث الشعبي.
- اقترح عمل دورات فنيه للأطفال داخل فناء البيوت الأثرية، ودعمهم بالألوان واللوح لرسم وحدات زخرفية إسلامية، مما يجعل الأطفال ينشؤون على حب الأثر والارتباط بالتراث.

المراجع

المصادر العربية: -

- ابن منظور، محمد بن مكرم (1993)، لسان العرب، 15 جزء، دار صادر، بيروت، الجزء 2، صـ14.
- المقريزي، تقى الدين أبى العباس أحمد (1998)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، جزئين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج1، صـ314، صـ364.

المراجع العربية: -

- حنا، نيللي (1993)، بيوت القاهرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر دراسة اجتماعية معمارية، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، صـ90-92.
- رزق، عاصم محمد (2000)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، صـ198.
- سعيد، صلاح زكي (2009)، بيوت أحياء القاهرة القديمة في القرن التاسع عشر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، صـ69.
- عكاشة، ثروت (1981)، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، صـ46.
- مجمع اللغة العربية (1980)، معجم الفاظ المصطلحات الحديثة ومصطلحات الفنون، مطابع مجمع اللغة العربية، القاهرة، صـ26.
- مركز الدراسات المعمارية (1990)، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، جدة المملكة العربية السعودية، صـ25، صـ64، صـ87.
- مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار (2000)، دليل الأثار الإسلامية بمدينة القاهرة، مطابع المجلس الأعلى للأثار، القاهرة، صـ31.
- وزيري، يحيى (2004)، التصميم الشمسي للفناء الداخلي دراسات على القاهرة وتوشكي، مكتبة مدبولي، القاهرة، صـ15.

المراجع الأجنبية المعربة

- فييت، جاستون (2015)، القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة: مصطفي العبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، صـ141.

الدوريات العلمية: -

- أبو السعادات، شريف (2017)، دراسة تحليلية لطرق إنشاء البيوت الإسلامية واستخدام الموارد الجوية باعتبارها المصدر الأهم للطاقات المتجددة كأحد حلول مشكلة الطاقة، مجلة العمارة والفنون، العدد السادس، القاهرة، صـ9.
- احمد، حاتم توفيق (2021)، إعادة تأهيل وتوظيف الآثار المعمارية للحفاظ عليها من عوامل التلف، مجلة التصميم الدولية، العدد 12، المجلد 1، صـ266، صـ 268، صـ 270.
- النمرة، نادر (2014)، مقاربة مقترحة لإعادة تأهيل المباني ذات القيمة بمدينة غزة، مجلة القادسية للعلوم الهندسية، المجلد 7، صـ14.
- ياغي، غزوان (2008)، أهمية العمائر السكنية الباقية بمدينة القاهرة والعوامل المؤثرة في تصميمها، مشكاة المجلة المصرية للآثار الإسلامية، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، العدد الثالث، صـ204، صـ205.

الرسائل الجامعية: –

- إبراهيم، شيماء حسن (2009)، إعادة توظيف القصور التاريخية في مصر تطبيقا على قصور أسرة محمد علي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، صـ49.
- الأدهمي، مارينا (2001)، مساهمة لدراسة تحليلية لإعادة توظيف البيوت السكنية في مدينة دمشق، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة دمشق، صـ1.7.
- البسطويسي، أشرف (2006)، نحو منهج لتقييم الخصوصية في البيئة العمرانية من خلال القوانين والتشريعات، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، صـ56.
- الجنيدي، مصطفي جاب الله (1976)، البيت الإسلامي في العصور الإسلامية المختلفة وآثرها على العمارة المعاصرة في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة جامعة القاهرة، القاهرة، صـ98–102.
- السيد، أحمد عبد الوهاب، صيانة وإعادة استخدام المباني الأثرية وذات القيمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، صـ87، صـ216.
- السيد، مي سمير (2018)، هوية العمارة الإسلامية في تصميم العمارة الداخلية للمباني السكنية في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة جامعة حلون، القاهرة، صـ110.
- جاويش، عمرو محمد (2022)، الفناء وأهميته الوظيفية في العمائر الدينية والمدنية في مصر الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية السياحة والفنادق، جامعة قناة السويس، صـ144، صـ160، صـ192، صـ193.
- حلمي، عباس (1968)، تطور المسكن المصري الإسلامي من الفتح العربي حتى الفتح العثماني، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، صـ34، 40.
- دسوقي، عزت (2006)، الحياة الدينية الإسلامية في مصر في العهد العثماني، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، صـ229.
- دهنة، عبد الحميد (2013)، أسس وضوابط عملية إعادة تأهيل المباني التاريخية في مدينة حلب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة حلب، صـ46.
- زين العابدين، محمود (2010)، تقويم تجربة تأهيل بعض المباني التاريخية العثمانية في سورية بوظائف ثقافية. دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة حلب، صـ177.
- عبد الدايم، علياء عبد العزيز (2001)، دراسة ترميم وصيانة المنازل الأثرية بمدينة القاهرة وإعادة توظيفها تطبيقا على سراي المسافر خانة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأثار، جامعة القاهرة، صـ 64.
- عتمة، محمد علام (2007)، إعادة تأهيل المباني التاريخية في فلسطين " دراسة حالة تجربة مدينة نابلس عام 1994 "، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، صـ 177.
- متولي، علي ماهر (2006)، أسس تصميم العمائر السكنية في القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآثار جامعة القاهرة، صـ4، صـ9، صـ16، صـ21، صـ308.
- محمد، عصام محمد موسي (2006)، إعادة استخدام المباني الأثرية في العرض المتحفي (تطبيقاً علي مجموعة من المتاحف المصرية والعالمية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، صـ17.
- مرسي، مروة حسين (2008)، الآثار الإسلامية بحي الجمالية وتنشيطه سياحيا، مجلدين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية السياحة والفنادق، جامعة حلوان، مجلد1، صـ1091.
- موسى، رفعت (1995)، العمائر السكنية الباقية بمدينة القاهرة في العصر العثماني دراسة أثرية وثائقية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، صـ5.

لوحة (1)

التختبوش داخل بيت السحيمي (جاويش، 2022)

لوحة (2)

قصر ومتحف محمود خليل (أحمد، 2021)

لوحة (3)

قصر ومتحف محمود خليل (أحمد، 2021)

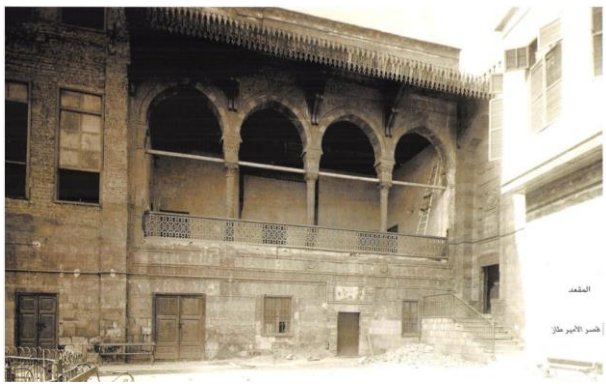

لوحة (4)

فناء قصر الأمير طاز والمقعد قبل الترميم (القاهرة التاريخية، د.ت)

لوحة (5)

فناء قصر الأمير طاز والمقعد بعد الترميم (القاهرة التاريخية، د.ت)

لوحة (6)

فناء بيت الكريتلية، وواجهة المقعد (جاويش، 2022)

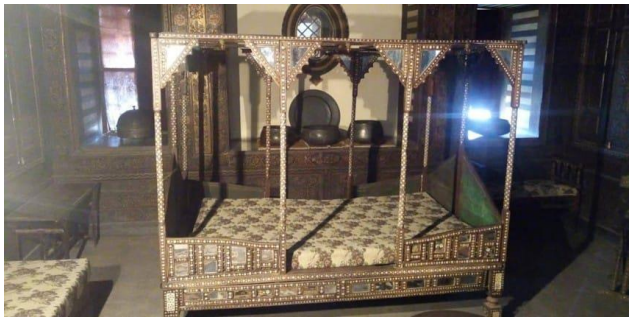

لوحة (7)

بيت الكريتلية من الداخل، ونماذج من الأثاث الإسلامي (أحمد، 2021)

لوحة (8)

بيت زينب خاتون من الداخل بعد الترميم (تصوير الباحث)

لوحة (9)

الحفلات والأمسيات الثقافية ببيت زينب خاتون (تصوير الباحث)

لوحة (10)

فناء بيت الست وسيلة والمقعد بعد الترميم (القاهرة التاريخية، 2005)

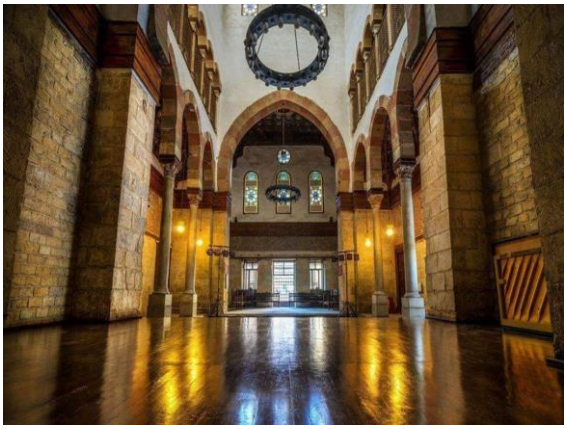

لوحة (11)

قصر الأمير بشتاك من الداخل (تصوير الباحث)

لوحة (12)

الأمسيات الثقافية بقصر الأمير بشتاك (عسكر، 2002)

لوحة (13)

بيت الشيخ سعيد آل مكتوم بدبي من الداخل (دهنة، 2007)

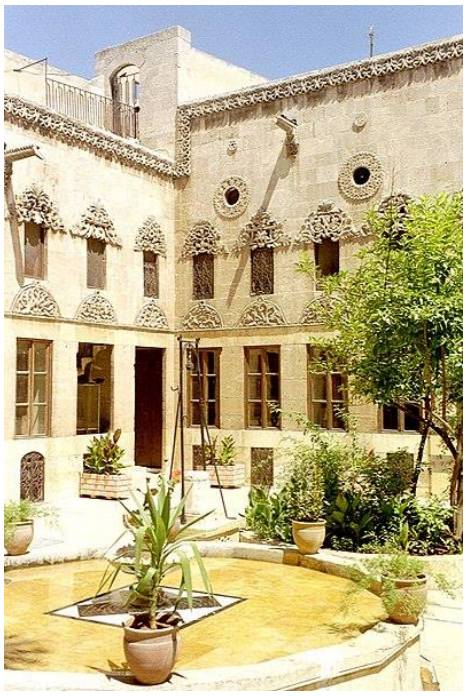

لوحة (14)

فناء بيت آجق باش بسوريا (زين العابدين، 2010)